للمشاكل ، السياسية خاصة ، التي يتخبط فيها العالم العربـــي . وان الخيبة ، أو الخيبات المتكررة في الوصول الى هذه المشاركة الحقيقية دفعت الى اتجاهات سياسية اقليمية ، تستطيع ان تكتفي بانصاف الحلول ، وبانتصارات او مرابح جزئية . . . »(١) .

ويبدو ان الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة لتشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ قد أوقفت ، ان لم تعكس ، العملية الآنفة الذكر . وبين أخطر مضاعفات الحرب بالنسبة للعالم العربي هو السؤال الذي أثارته فيما يتعلق باحتمالات الوحدة . ويرحب معظم الزعماء السياسيين وعدد كبير من رجال الفكر بالحرب الآن بوصفها بشير عهد جديد من وحدة الصف والهدف(٢) . ويصار تكرارا الى تأكيد ان العلائق بين العرب قد تحولت تحويلا جذريا وان امكانية العمل العربي المشترك لا حد لها . وبالنظر الى الصورة الكئيبة عن الوحدة التي كانت سائدة قبل الحرب ، لا بد من طرح السؤال : كيف ولماذا أثرت الحرب في التفاؤل السائد الآن ؟

يحار مراقب سياسة الشرق الاوسط في تفسير تضامن الانظمة العربية الذي ظهر في تشرين الاول (اكتوبر) والايام اللاحقة له . فقد أخذ الجانب العربي زمام المبادرة لاول مرة في العقدين ونصف العقد من الصراع مع اسرائيل ، على الرغم من شقاق العرب الموهن ظاهريا . فشنوا جهدا مدروسا وحسن التنسيق على جبهتين لمنازلة اسرائيل عسكريا وانتزاع الاراضي المحتلة عام ١٩٦٧ . وللحال ، تدفقت المساعدات العسكرية والمالية على الجيشين العربيين المقاتلين من البلدان المجاورة . وبدلا من التهديدات المطنبة الشهيرة سابقا والتي لم تنفذ ابدا ، ومن الوعود بمعونة لم تقدم قط ، ارسلت الانظمة العربية القوات لاداء الواجب على خط الجبهة . واشتركت في المجهود الحربي العراق والكويت وليبيا والعربية السعودية والجزائر والمغرب . واجتمع الموفدون العرب أيضا ، لدراسة سياسات مشتركة . وكان أبرز قرار اتخذوه هـو قرارهم لاستخدام اقوى سلاح في مستودعهم ، أي النفط . وفي محاولة للضغط على أوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة واجبارها على اتخاذ موقف حيادي ان لم يكن وديا ، جرى خفض انتاج النفط بشكل حاد ، وشرع في مقاطعة نفطيـة للولايات المتحـدة وهولندا . وكان الكثيرون ، وبخاصة الدوائر الغربية ، قد حذفوا من الحساب احتمال قيام سياسة عربية مشتركة في حقل النفط ، فكان ان أدى نجاح وزراء النفط العرب في الاتفاق على الوسائل والاهداف في اجتماعهم بالكويت الى تعزيز صورتهم في الخارج ورفع معنويات شعوبهم . وأخيرا ، كانت التحويلات المالية الضخمة التي ساعدت بها البلدان الغنية بالنفط سوريا ومصر مجالا آخر عبر فيه التضامن العربي عن نفسه بشكل فعال . وكان الشعور السائد هو أن العرب ، للمرة الاولى في تاريخهم الحديث ، استطاعوا أن يواجهوا اسرائيل وحليفاتها متحدين .

وكان التعاون بين الانظمة العربية باعثا على طـرح سؤال رئيسي : هل أثـار التضامن العربي الى طريق جديد للوحدة العربية ؟ هل هو اظهار لوحدة ، غير رسمية وغير معلنة ، تسود في العالم العربي اللاحق لحرب تشرين (اكتوبر) ام انه مرحلة عابرة اكثر ستعود الخاصيات المحلية بعدها الى تأكيد ذاتها ؟ وان شئنا التعبير بشكل مختلف ، هل زادت حرب تشرين (اكتوبر) الفرص للوحدة العربية وادخلت وجوها جديدة على نوع العلاقات بين الانظمة العربية وطبيعتها ؟

يعرض التراث السياسي لربع القرن السابق سبلا مختلفة الى الوحدة العربية . هذه السبل ستحدد وتقيم أولا وسيدرس اسهام حرب تشرين (اكتوبر) في ايجـاد هذه السبل . وستبحث من ثم البيئة الاجتماعية العربية في وقت الحرب من حيث الخلفية والقضايا . وأخيرا تختم الدراسة في محاولة لتقرير ما اذا كانت الحرب قد حسنت الفرص للوحدة أم لا ، واذا كانت قد حسنتها ، لماذا وبأية شروط .